# سيكولوجية المرأة في الأغنية الشعبية الفلسطينيّة في الجليل

د.جهينة عمر الخطيب

## ملخص البحث

لا شكّ أن الأغنية التراثية هي حال الشعب، تعبّر عن آماله وآلامه، تشاركه في مناسباته، أفراحه وأتراحه، وهي مادة خصبة تمكّن الباحث من دراسة المجتمع دراسة اجتماعية ونفسيّة سلوكية، ومن هنا جاء اهتمامنا بموضوع الدراسة، ورغبتنا في رؤية مدى انعكاس عادات المجتمع الفلسطيني وأفكاره ومعتقداته فيما يتعلق بالمرأة الفلسطينيّة من خلال أغانيهم، فستناقش الدراسة سيكولوجية المرأة في ظل مجتمع ذكوري ووقوعها بين المطرقة والسندان في الخطاب الثقافي الموروث، كما وستتعمق في مشاعرها المختلفة من حنين وألم وعشق وشجن من خلال أغان متنوعة كالتهاليل وأغاني الفرح وأغاني الفراق والبكائيات وسندرس ظواهر اجتماعية من خلال أمور كثيرة :معايير الجمال لدى المرأة في المجتمع الفلسطيني وعلاقتها بزوجها وعائلتها، مكانتها في العائلة، وصراع الحماة والكنة، ومظاهر اجتماعية متعددة،الزواج المبكر وزواج الأقارب وزواج البدل.. وستتبع الدراسة منهجا تحليليا تطبيقيا من خلال تحليل الأغاني الشعبية في منطقة الجليل الفلسطيني. وبناء عليه سيكون سؤال بحثي: هل اقتصرت الأغنية الشعبية التراثية على توثيق العادات والتقاليد الاجتماعية الداعمة أم أنها ساهمت في ترسيخ مفاهيم وليدة مجتمع شرقي محافظ؟

ولتحليل هذه المسألة سيتم الاستعانة بالمنهج التحليلي التطبيقي وفق اجراءات بحثية تتمثّل في النقاط الآتية

١-جمع مادة خام من خلال توثيق الأغاني المسموعة من نساء ما فوق الستين من العمر في منطقتي شفاعمرو والناصرة.

٢- تصنيف هذه الأغاني بناء على المواضيع المطروحة.

### أساليب وأنواع الأغنية الشعبية

تنوعت الأغنية الشعبية الرجالية والنسائية، ففي الوقت الذي تعدّدت فيه المواضيع في الأغنية الرجالية في فن " العتابا" ، إلا أن الأغنية النسائية تميّزت بالوحدة الموضوعية" التي تربط بين جميع أبياتها لتقوم بالوظيفة التي وجدت الأغنية من أجلها، وفي العادة فإن طرح هذه الفكرة أو الوحدة يحدد عدد أبيات الأغنية ويتحكّم بطولها تتبعًا لمحدودية الموضوع" (لبس،١٩٩٤، ص ١٣)

وتتعدد أشكال الأغاني النسائية، فنرى التهاليل والمهاهاة والأهازيج المهاهاة" عبارة عن بيتين من الشعر العامي في أربعة شطور تحمل فكرة واحدة... تنتهي شطورها بقافية واحدة، أو يشترك كل شطرين متقابلين بنفس القافية، أو يكون للشطر الأول والشطر الأخير نفس القافية"(لبس، ١٩٩٤، ص ١٥ ) والزجل وهو قصيدة تتكون من قافيتين فيلتزم الصدر قافية والعجز قافية. ولكن غالبية الأغاني النسائية هي تهاليل ومهاهاة.

### المرأة وعلم النفس

"الذات هي ال" أنا" و"أنا" لا تعبّر عمّا أكونه الآن! ولكنّها تعبّر أيضا عمّا كنته وعمّا سوف أكونه! ذات الشخص هي كيان يمتد زمنيًا من لحظة الميلاد إلى لحظة الموت، وهي أيضا ذلك الكيان الذي يشكّل هذه الكثافة الوجوديّة في هذا الموضع من المكان" (إبراهيم،١٩٩٩،ص ٢٥ ) ومن هنا فإنّ سيكولوجية الانسان سواء كان رجلا ام امرأة تتشكل وفق البيئة والظروف الحياتية التي يتعرض لها. وتتعرض المرأة في ظل مجتمع ذكوري إلى قهر يؤثر سلبا على حالتها النفسية وبالتالي هذا يؤثر على سماتها الشخصية وهي السمات التي تعكس طبيعة علاقة الإنسان بنفسه وبالبيئة من حوله"(إبراهيم، ١٩٩٩، ص ٢٥ ). وكون المرأة العربية تعيش ظروفا خاصة في مجتمع شرقي فهذا يضعها في بؤرة الضغط الانفعالي " ويظهر في مواقف حياتية متنوعة: كالتهديد والغضب والاخطار... إلخ إذ يؤدي الضغط الانفعالي في مثل هذه الحالات إلى ظهور انفعالات جامحة ومثبطة ومتغيرة،وظهور تغيرات في حدوث العمليات العقلية، والنمو الانفعالي


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

ودافعية الأداء واضطرابات في السلوك الكلامي والحركي " (بني يونس، ٢٠٠٧، ص ٢٥٢ ) وضغوطات نفسية مختلفة فهي تشعر بعدم الأمان لعدة أسباب،وسأحلل بعضها لاحقا كشعورها بأنها مذنبة وبحاجة إلى إثبات براءتها دائما، خوفها من عدم إنجاب الذكر وكأن الأمر بيدها، قلقها من زواج الزوج بأخرى، قلقها من أن لا تفي بمفاهيم الجمال في مجتمعها فهي في النهاية إنسان والإنسان كائن اجتماعي فتريد الزواج وتأسيس العائلة وتخاف من العنوسة، وإذا تزوجت تخاف من الطلاق فمصطلح مطلقة في مجتمع شرقي ليس بالشي ء الهين، وقد عبرت المرأة عن مخاوفها هذه من خلال الأغاني الشعبية.

## نقد المرأة لمجتمعها

لم تكن المرأة غافلة عن تغير الزمان وانشغال الناس والابتعاد عن عادات العائلة واجتماعهم في حميمية ودفء، فنراها تندب في تهاليلها أيّامًا خلت:

" يا عين حاجي بكا
يا عين تبكي ليش
أهلك حداكِ وانتِ
في لذيذ العيش
لو تعرف الناس
أكثر بكايي ليش
أكثر بكاي على
اللمة وطيب العيش"

## سيكولوجية الحزن لدى المرأة الفلسطينية

تعيش المرأة في مجتمع شرقي قامع لحريتها، فتراها تتنفّس عن آلامها من خلال الأغاني التراثية :

"لا تحسبوني ضحكت السن مشروحي
بضحك بسن الرضا والقلب مجروح
وأكثر بكاي وتنويحي على روحي"

## الزواج المبكر

اتصف المجتمع الفلسطيني كأي مجتمع عربي بتفضيله زواج الفتاة في سن صغيرة، ويرجّح هذا لإمكانية الانجاب، والأمر ذاته كان ينطبق في فترة زمنية سابقة على الرجال أيضا.

" طلّت من باب الشّباك
تسقي حوض البطاطا
فلان شبّ الأربعطاش
يوخد وحده خيّاطه"

## زواج الأقارب

فضّل المجتمع الفلسطيني زواج الأقارب على زواج الغريب لعدة أسباب منها أن القريبة ستفهم ظروف قريبها وستتماشى معها.

"يا لهلي يا لهلي
لا يبرا لكو بالِ
ويش كان عماكو
عن ابن العمّ والخالِ
يا أهل الغريبه
طُلوا عَ غريبتكو
وان قصّرت خيلكو
قزّوا هديتكو
يا اهل الولايا
طلوا ع ولاياكو
وان قصّرت خيلكو
قزّوا هداياكو"

ونلاحظ تدرج الغربة واختلافها، فالخروج من الحي الذي كانت تعيشه الفتاة يعتبر غربة وزواجها من عائلة أخرى هي غربة أشد وطأ وتليها غربة أصعب وهي الزواج من بلد آخر.

" سجّل يا قاضي سجّل
واطلعوني غريبه
امّي بالبيت تعيّط
وأختي تقول حبيبه
سجّل يا قاضي سجّل
واطلعوني من الحاره
إمّي بالبيت يا قاضي سجّل
واطلعوني من العيله
إمّي بالبيت تعيّط
وأختي تقول يا ويلي
سجّل يا قاضي سجّل
واطلعوني من البلد
إمّي بالبيت تعيّط
وأختي تقول للأبد"

وكان لهذا الأمر الأثر الكبير لزواج غير متكافئ بحجة تفضيل القرابة أو حرمان المرأة من زواجها بمن تحب.

جفرا
جفرا ويا هالرَّبع، وتصيح يا اأمامي
ما بوخذ منهم حدا، لو كسّروا عظامي
إن كان الجيزه غصب، وبشرع الإسلام
لارمي حالي بالبحر للسّمك بالميّه

## وفي المقابل كان هناك نبذ للزواج من الغريب

يَ اهل الغريبه
يَ اهل الغريبه، وما يبرى لكُم ذمّه
وشو عماكو عن ابن الخال والعمّه
يَ اهل الغريبه، وما يبرى لكُم باري
وشو عماكوا عن ابن العم والجارِ
يَ اهل الغريبه وما يُجبر لكم خاطر
وشو عماكوا عن ابن عمّي هالشاطر.

**زواج البدل**

أيضا من الاضطهادات المجتمعية التي كانت تتعرض لها المرأة هو زواج البدل وكأنها أشبه بمقايضة:

" وعَ الزنزلخته وعَ الزنزلخته
ريتك يا حلوه من حظّي وبختي
بدّك أبادل أبادل باختي"

**الإنجاب وتأثيره**

وضغوطات نفسية تتعرّض لها المرأة من حتمية إنجاب طفل ذكر.

هلّل المجتمع الشرقي الفلسطيني لإنجاب الذكور من منطلق أن الذكر هو امتداد للرجل وعزوة للعائلة، كما وناشدوا بكثرة الإنجاب، وهذا قد يؤثر سلبا على المرأة في حالة أنجبت الإناث ولم تنجب الذكور، وكأن الأمر بيدها".

" يا ريتك مباركه علينا علينا
وتبكري بالصّبي يلعب حوالينا
يا ريتك مباركه عالعريس لحاله
وتجيبي تناشر صبي وتكثري عياله
يا ريتك مباركه علسلف والسلفه
وتجيبي تناشر صبي وتكثري الخلفه
يا ريتك مباركه على دار عيالك
وتجيبي تناشر صبي وتكثري مالك
يا ريتك مباركه علينا يا مليحه
وتبكري بالصبي ونرشّو بالريحه
يا ريتك مباركه علينا يا مزيونه
وتجيبي تناشر صبي وتكثري الحموله"

**ومن أغاني المهاهاة:**

" يا ناس صلُّوا عَ النَّبي
والحبلى جابت صبي
يا ربّ تحفظ ويا نبي
ويصير حامينا الصّبي"

يَ ملح دارنا كَثّر صُبيانًا
يَ ملح دارنا كثّر عيالنا
يَ بُلبل عَ الشّجر
عيش واكبر يا هالذكر
يَ عطية الله
ويا هنيال اللي صبر

فإنجاب المرأة للأنثى يدخلها في حالة ضعف وخيبة وإحباط نفسي وكأنها مذنبة:

صبي بيها!
حبلى بتدنيها
وتقول: صبي بيها
بُكره بتدبّيها
وبتقومي مخزيه

فالخزي هو نصيبها في حالة إنجابها للأنثى، أما إنجابها للذكر يمنع تعرض العائلة لفرح الأعداء والحاسدين:

جابت وقامت
جابت وقامت وعَ فراشها نامت
ولك الحمد يا ربّي، ما شمت بيها شامت

إن توظيف كلمات مثل: تدبّيها، مخزيّة، شامت ، تدخل المرأة في حالة نفسية صعبة، فلا اعتراض على اختيار الخالق ولكن المجتمع لا يرحم هذه المرأة ويحملها مسؤولية عدم إنجابها للذكر.

**مواضع جمال المرأة الخارجي**

رغم عشق العرب للفتاة السمراء إلى أن حنينه للون الأبيض، لأنه ينقصه رغم وجوده بين الفتيات الفلسطينيات إلا أن السمار هو الغالب، فنلاحظ وصف الفتاة الجميلة بمعايير تتسم ببياض البشرة، وارتباط البياض بإشراقة الوجه:

" فلانه يا بيضا يا كاسة حليب
مَكسي ولبست وعالفرشه دُسْت
بعينك غمزت طيّرت الحبيب"

يَ ميخذ البيض
ي ميخذ البيض وخرخش بالذَهب
خرخش
واستنّى عَ البيض تَ ينوّر المشمش
واستنّى عَ البيض تَ انُّه يحمر خَدهن
وطلعة نجمة تاصبح من بين عينيهن

ولم يكتف المجتمع بتفضيل البيضاء بل كانت هناك مقارنات ظالمة وقاسية للمرأة السمراء، ولنا أن نتخيل تأثير هذا الأمر على سيكولوجية المرأة فإذا لم تنجح المرأة في حب ذاتها لن تنجح في حب المحيطين بها:

" يا غزيّل لا تغْزلها
والبيضا لا تزعلها
والسّمرا ظلّ اقتلها
من الصبح للمغربا"

**ومهاهاة ظالمة للمرأة السمراء:**

السمر والبيض لو نزلوا عَ الخلّه
سرب السّلاطين طاحت تضمن الغلّه
يَم يخذ السّمر ربّك يوخذك عنّي
دشّرت قراص الجبن واتّبعت الجّلّه

**ومن الجماليات طول القامة**

الطول: طول القامة وطول الشعر

- " يَ طُولك، طُول عُود الزّان، لو مال
يَ شعرك، حيّر الجدّال لو مال
ابوك لا قبل فضّه ولا مال
كيف الراي عندك والجواب
- ي طولك طول عود الحور واقف
نصل لحمي وعظمي واقف
وأنا كرمال عيونك لاظل واقف
عبد مأمور لحين الطّلب
- الشعر بسباس يطوي طيّة القماش
يَ سعد مِنْ حاش هالدنيا وما بيها


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

**الخُشُم انبوب برُقّ السيف يا محبوب**
**ي جامع " أيوب" تجمع شملنا بيها**
**يَ طولك طول الزّرافه**
**والخَصر بدُّه لطافه**
**والتُّم خاتم سليمان**
**ومعجون بالكنافه**

**سلطة الحماة تجاه الكنة**

**يمّا ويا يمّا بدّي البيروتي**
**الفلاح يقول لي اشتغلي تتموتي**
**إمّو بتقلّي عالبيت لا تفوتي**
**من يوم خذناك اشتهينا المونا**

**تعدد الزوجات**

لا توجد امرأة ترغب بشريكة لزوجها وهذه من أقسى الأمور النفسية التي قد تتعرض لها المرأة:

**يمّا ويا يمّا شويفي اللي صاير**
**السمرة والبيضه صاروا ضرايز**
**السمرة تعيّرني بلبس الضفاير**
**والبيضه تعيّرني بغمز لعيونا**

**الأرملة والمطلقة**

تعاني المرأة الوحيدة من ظلم مجتمعي سواء كان ذلك بموت زوجها أو بطلاقها أو بعدم زواجها:

**" طارت طيّاره وحلفت ما تهدّي**
**بيها الأرامل تلعب الشدّه**
**هيه يا أرامل قُومن من حدّي**
**ريحة الأرامل مرض وسخونا**

فالأرملة كأنها مصدر شؤم فلا يكفيها قدرها، فإن مجتمعها يحاصرها ويتشاءم منها.

وتعاني المرأة التي لم تتزوج من ألم نفسي ناهيك عن نظرة المجتمع التي تشك بتصرفاتها فهي مذنبة حتى تثبت براءتها، وقد عبرت الأغنية الشعبية عن حالة المرأة النفسية في هذه الحالة في ظل مجتمع لا يرحم:

**"ويلي ويلي من السرّيس**
**أكلي وشربي من السّريس**
**حزينة يا للي ما لك عريس**
**تنامي ع وجهك قفا".**

**الخاتمة**

حاولت الدراسة أن تظهر توجها مختلفا في تناول الأغنية الشعبية من منظور مغاير وهو المنظور السلبي الذي يؤثر على سيكولوجية المرأة ويعبر عن مكنوناتها من خلال الإتيان بنماذج حيّة تطبيقية تناولتها أغاني المرأة في منطقة الجليل، فتعرضنا إلى مخاوفها وآمالها وأحلامها، فرأينا كيف عبرت هذه الأغاني عن معاناة المرأة بدءا بتفضيل الذكر على الأنثى وما تتعرض له المرأة من ضغوطات نفسية اجتماعية بسبب هذا الأمر، وتكبر الطفلة وتبدأ المقارنة الظالمة بين السمراء والبيضاء وتفضيل البيضاء عروسا.وتعاني مرة أخرى حين يتم تزويجها بسن صغيرة، وتفضيل زواج الأقارب دون سؤال الفتاة وكأنها سلعة تباع وتشترى ناهيك عن زواج البدل.وتتزوج لتصطدم بإمكانية زواج الرجل من أخرى.

وعبرّت الأغاني عمّا تتعرض له المرأة من ظروف اجتماعية قاسية لا ترحم، فإذا لم تتزوج فهي عانس وإذا تزوجت ومات زوجها فهي نذير شؤم.

إن هذا البحث المصغر ألقى ضوءا على موضوع يحتاج إلى المزيد من الدراسات والتعمق من خلال دراسة سيكولوجية المرأة في الأغنية الشعبية في مناطق أخرى في فلسطين من خلال المقارنة والتحليل.

## المصادر والمراجع

١-إبراهيم، ماجد موريس، سيكولوجيا القهر والإبداع، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.
٢-بني يونس،محمد محمود، سيكولوجيا الدافعية والانفعالات،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. عمان،٢٠٠٧.
٣-خوري، جريس، الأغنية الشعبية الفلسطينية في الجليل، أطروحة ماجستير، جامعة حيفا،١٩٩٩.
٤- لبس، نائلة، الأغاني الفولكلورية النسائية لمناسبة الخطبة والزواج، دائرة الثقافة العربية في وزارة المعارف، الناصرة،، ص ١٣.